مجلة آفاق سينمائية | عدد خاص: السينما والأوبئة | السنة: فيفري 2021 | ص – ص : 73– 92

أفلام الاستشراف الوبائي ودلالات اشتغال التناص السينمائي في ضوء جائحة كورونا

دراسة تحليلية سيميولوجية لفيلم "عدوى (Contagion)

Epidemiological foresight films and the connotations of cinematic Intertextuality in light of the corona pandemic
A semiological analysis of the movie (contagion)

د. هشام عبادة[1] ✶

[1] جامعة محمد خيضر بسكرة–الجزائر– abada.hicham@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2020/11/30 تاريخ القبول: 2021/02/06 تاريخ النشر: 2021/02/17

ملخص:

يهدف المقال إلى تسليط الضوء على التنبؤ ضمن أجندات السينما من خلال فيلم عدوى، إضافة إلى تفحص العلاقة التناصية للفيلم مع نصوص وأعمال أخرى في إطار حركات التأثير والتأثر التي تنشأ بين النصوص.

من النتائج المتوصل لها وجود علاقة استشرافية قوية بين فيلم "عدوى" وجائحة كورونا، ترتكز على العلم والخبرات والمعرفة المتخصصة، إضافة إلى كون هذا النوع من الأفلام يندرج ضمن سينما الوباء التي تجمع داخلها نماذج عديدة من النصوص الفيلمية التي تضبطها حركية التناص الفيلمي وجماليته.

الكلمات المفتاحية: الاستشراف، الفيلم، الأوبئة، التناص، جائحة كورونا.

Abstract:

The article aims at sheding light on prediction within cinema agendas through the film Contagion, in addition to the examination of the intertextual relationship of the film with other texts and works within the framework of the influence and impression movements that arise between the texts.

✶ د/ هشام عبادة، abada.hicham@univ-biskra.dz

Among the obtained results is the existence of a strong forward-looking relationship between the film "Contagion" and the Corona pandemic, based on science, expertise and specialized knowledge, in addition this type of films falls within the cinema of the epidemic in which many models of film texts are collected. These texts are controlled by the kinetics and aesthetics of the film's Intertextuality

Key words: Foresight; film; epidemics; Intertextuality; Corona pandemic

1. مقدمة :

تعد الدلالات السينمائية لفكرة الاستشراف من المواضيع والقضايا المهمة التي تواكب الأفلام تناولها باستمرار، وهذا ما جعلها تناقش قضايا الأمراض والفيروسات والأوبئة القاتلة على مستوى عال من المعرفة العميقة، حتى أنها تستعين بخبراء في الصحة كي تبلور ما يمكنها من تقديم إيديولوجيا وليس مجرد فيلم وهذا حال أفلام كثيرة تضمنت معالجة المخاطر الوبائية والصحية والتهديدات الفيروسية التي تحيط بحياة البشر، وقد فتح هذا النوع من الأفلام نقاشا واسعا حول القدرة العجيبة للسينما على تخطي عقول المشاهدين لفهم ما يجري حولها، وقد تفوقت الأفلام حين تمكنت من اكتساب رهان الاستشراف والتنبؤ بما سيحدث، وهذا ما أبانت عنه جائحة كورونا التي يعيشها العالم بأسره اليوم والتي سبق أن قدمتها الأفلام كطابوهات للنقاش والتلقي والتأويل كونها أبرز حدث عاشه الإنسان المعاصر.

2. إشكالية الدراسة: تتمثل إشكالية الدراسة في معالجة فيلم **Contagion** ومدى تنبؤه بالجائحة قبل وقوعها وسيناريوهات تطورها ونتائجها الوخيمة وتداعياتها على جميع القطاعات، ومن هذا المنطلق صار الوباء ضمن أجندات السينما وتشكل الاهتمام بالفيلم الوبائي الاستشرافي الذي سلط الضوء على أولويات السينما والقائمين عليها، كما حظيت الكوارث الطبية والأزمات الصحية بعناية سينمائية، وتداخلت الأفلام مع بعضها في علاقات

من التأثير ضمن جماليات ظاهرة التناص، ليصبح موضوع سينما الوباء مبحثا مهما في الدراسات الأفلام. في هذا السياق يمكن طرح التساؤل التالي: **كيف تتجلى القراءة الدلالية لاستشرافات السينما الوبائية في ضوء حركة التناص الفيلمي من خلال فيلم "عدوى"؟**

أهداف الدراسة:

- ✓ التعريف بالأفلام الطبية وأفلام الكوارث والأزمات الصحية والأوبئة والفيروسات.
- ✓ الكشف عن الدلالات العامة للاستشراف في فيلم "عدوى".
- ✓ تحديد أبرز الأفلام التي دخلت في علاقة تناص مع فيلم عدوى.

تساؤلات الدراسة:

- كيف تتحدد الأوبئة أو الأمراض ضمن أجندات السينما العلمية؟
- ما هي دلالات البعد الاستشرافي لوباء كورونا من خلال لفيلم **(contagion)؟**
- كيف يحيل فليم **(contagion)** على مرجعيات نصية تناولت الأوبئة ضمن اشتغال التناص السينمائي؟

3. مفاهيم الدراسة

الاستشراف لغة: الاستشراف في اللغة من الفعل: استشرف، أي: علا وانتصب، واستشرف الشيء، أي: رفع بصره ينظر إليه[1]

الاستشراف اصطلاحا: ويعني تحديد النظر إلى الشيء بشكل يجعل الناظر أقوى على إدراكه واستبيانه" وهو "النظر إلى الزمن القادم ببصر حاد ونظر ثاقب بغية تصور الواقع انطلاقا من شرفة الحاضر" وهو "اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صوغ مجوعة من التنبؤات المشروطة والتي تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع ما أو مجموعة من المجتمعات وعرة فترة زمنية تمتد لحوالي 20 عاما انطلاقا من بعض الافتراضات الخاصة[2].

إجرائيا: يعني الاستشراف "التنبؤ بما سيحدث في المستقبل انطلاقا من معطيات وحقائق متنوعة المصادر، تحكمها افتراضات تهدف إلى النظر إلى المستقبل وقراءة أحداثه وتوقع حدوثها".

الفيلم: يعد الفيلم السينمائي بصفة عامة تصوير لغوي وعقلي وذهني وخيالي وحسي قد ينقل العالم الواقعي أو يتجاوزه إلى عوالم خيالية وافتراضية أخرى وأهم ما فيه طبيعته السردية سواء كانت لغوية، فنية، جمالية، وارتباطه بآليات تعبيرية قد تتجاوز القصة والرواية إلى صور سردية ودرامية موسعة.

التناص لغة: من تفاعل، **نص** الشيء: رفعه، نقول **نصصت** الحديث أي رفعته إلى صاحبه وأن النص أصله منتهى الشيء ومبلغ أقصاه ونص المتاع نصا، جعل فوقه فوق بعض، ونص الحديث رفعه[3] **وتناص** القوم أي "اجتمعوا" و"ازدحموا" في مكان ضيق وتدافعوا في حلقة تجمُعية واحدة".

اصطلاحا: يرى "**لوران جيني**" أن التناص استعادة وتمثل لعدة نصوص في نص مركزي يحتفظ بمركز الصدارة في المعنى[4]، يعرفه **جيرار جينيت (Gérard Genette)** بأنّه: "محاولة دراسة العلاقة بين النصوص المكونة لنص معين" [5]

إجرائيا: ويمكن القول إن التناص هو: "عملية تفاعل النصوص وتداخلها وهو حضور لنص أو مجموعة نصوص أو أجزاء منها في نص جديد مركزي في سياقات جديدة، وهو علاقة تحديث للنص وإحياء له وانصهار فيه بمستويات وطرق متفاوتة ومختلفة".

الأوبئة: الوباء عبارة عن زيادة كبيرة تغطي منطقة أو مجموعة سكانية أكبر، والجائحة لغة من الفعل (جوح) وهي الهلاك والاستئصال، وهي الشدة المجتاحة للمال و"**الجاح**" الستر **والأجوح**، معناه الواسع من كل شيء وجوحت رجلي، أي أخفيتها **واصطلاحا:** هي وباء يغطي بلدان أو قارات متعددة.[6]

إجرائيا: هي "وباء فتاك ينتشر بين البشر في مساحة كبيرة قد تمتد لتشمل كل أنحاء العالم مخلفة خسائر في الأرواح وحالة من الذعر واللاأمن".

كورونا: يشتق اسم coronavirus اختصار Cov للدالة اللغوية على الهالة والتاج[7] وهو مرض يصيب الجهاز التنفسي يسببه فيروس تاجي مستجد متطور في حالة نشاط، يرجح أنه أنتقل بواسطة الخفافيش أو حيوان ما يمتاز بالسرعة في الانتقال بين البشر.

4. منهج الدراسة وأدواته: تعتمد الدراسة على توظيف **منهج التحليل السيميولوجي** وهو تلك التقنيات المستخدمة في صيغ اكتمال حلقة الدلالة داخل نسق معين وهو الأسلوب العلمي الذي يكشف وينقد ويحلل المعنى في نظام ما.[8] ويساعد الباحث على استنطاق الدلالات الكامنة والخفية للأفلام السينمائية، واكتشاف الرموز المضمرة وتأويل العلامات ووضعها في سياقها الدلالي الخاص بها، وهو من المناهج الكيفية التي أصبحت توظف في فهم وتفسير المحتوى الإعلامي وتحديد دلالاته العامة أما **مقاربات التحليل** فقد تم توظيف ثلاث **مقاربات** رئيسية: **مقاربة** "**رولان بارث**" حيث تفيد مقاربة بارث القيام بقراءة وصفية تعيينية للفيلم عينة التحليل و**مقاربة** "**رومان جاكوبسون**": وظفت من أجل القراءة الدلالية التناصية عن طريق تفعيل الوظيفة المرجعية لتتبع العلاقات التناصية بين فيلم عدوى وأفلام أخرى، أما **مقاربة كريستيان ماتز** وظفت فيها البنيات السردية الكبرى أو البنيات الفيلمية التي تهتم بتحليل سياقات الموضوع فقط دلاليا انطلاقا من مستويات التشفير الخمسة التي يضعها في مقاربته ومن خلالها يمكن إجراء التحليل الدلالي لفكرة التنبؤ بالوباء، ويعد التكامل المقارباتي أداة ذات فعالية إجرائية في قوة التحليل السيميولوجية وكفاءته.

5. التلقي المعرفي للسينما العلمية وأبعاد فهم أجندات الوباء:

يقوم السرد على التلميحات كي يبني استنتاجا حول الفيلم الذي يستخدم خطة تفسيرية ويبني قصة الدراما، فهو تأثير على المتلقي بشكل إيجابي لكي يبني المعني أكثر من كونه يستقبل هذا المعنى، لكي يجعله متسقا ومتماسكا[9] ، إن مسائل كالخلاص والرغبة والخوف من المستقبل وإحساس الشخصية بالانهزام وتشظي الزمن ومناجاة الذات وتفتيت اللغة، وتذويب المكان، وإعلان شأن الموت، هي مفردات حياتية لقضايا فلسفية يخطو بها التأمل والجنون إلى تعبيرات المقدس والتماهي مع الآخر، ولهذا نرى أن بعض الأفلام والروايات بمثابة علوم متنوعة يحظر فيها الفلسفي أحيانا كونه تاريخيا، أو من جهة كونه حضارة أو من جهة أسطورة وخرافة، فالنقاد الفلاسفة جعلوا من المتن الروائي متنا لأسئلتهم، فانطلقوا يطرحون نظرياتهم وأفكارهم حول الأنا والزمن والهوية.[10]

يطرح تلقي الأفلام تلقي المعرفة معها فلا يمكن أن يتموقع المشاهد أمام شاشة عرض بدون شفرات معرفية لفك مضمرات العمل السينمائي المنفتح على التجربة والفلسفة والطب والاقتصاد والدين والعلوم التجريبية والفن وعلم النفس، هذه التخصصات هي ما يغذي السينما ويجعلها تكبر كأحجية معقدة في عقل المشاهد، وهي ما يتطلب في الوقت نفسه العدة الذهنية اللازمة للتعامل مع مضمونها كمعرفة خالصة في الموضوع الذي تعالجه، ويحبذ العلم المعرفي استخدام التجارب والنماذج الحاسوبية في حين تفضل دراسات الفيلم **التحليل النصي** وهذا توجه علماء النفس، والسيميائيين الذين يفضلون البحث عن أدوات منهجية ضمن التحليل النصي السيميائي للأفلام.[11]

بقيت السينما تتناول فكرة انتصار الروح البشرية القادرة على هزيمة فيروس قاتل والتفوق عليه، نلاحظ ذلك في فيلم "**93 يوما**" (2016) للمخرج **ستيف غوكاس**، يستند العمل إلى قصة حقيقية عن قدرة فريق طبي متفان في احتواء فيروس إيبولا بنيجيريا حتى ولو أدى ذلك إلى التضحية بحياتهم، وتوجد أيضا أفلام مصاصي الدماء وهي ترتبط إلى حد بعيد بالمرض والأوبئة، العدوى والطاعون [12] وكعادتها السينما لا تتآلف بشكل جيد مع العلم

وطالما اهتم صناعها بفصل ذواتهم ومنتجاتهم عن العلوم، وبما أن الهدف كان دائما صنع المزيد من الإثارة، جاءت أشهر الأفلام لتنطلق من فكرتين رئيسيتين: الأولى هي الحرب البيولوجية، والثانية هي العلماء المجانين، أولئك الذين أخطؤوا في المعمل فتسرب شيء ما[13]، ويمكن تفسير شعبية فيلم **كونتيجن** من خلال التزام **(بيرنز)** بجعل فيلمه ذا مصداقية علمية، فقد استشار فريقا من علماء الفيروسات والأوبئة، بمن فيهم خبراء منظمة الصحة العالمية، أثناء كتابة السيناريو.[14] كما تمت الاستعانة بخبراء الحيوانات وعلماء البيولوجيا والمخابر ومؤسسات صناعة الأدوية واللقاحات وقد عزز كل هذا الاهتمام في جعل الفيلم محاكاة حقيقية لتفشي الوباء كما نعيشه اليوم.

6. ظاهرة الاستشراف في الخطاب السينمائي:

إن الاستشراف في ظل الأزمة عملية صعبة، بالنظر لعدم اتضاح الرؤية وتعذر أخذ مسافة كافية عن المؤثرات الظرفية اللازمة، ولذلك جاءت الكثير من الدراسات المقدمة إما أسيرة للانطباعات الذاتية أو مطبوعة بطابع التسرع في الاستنتاجات، أو خاضعة لمنطق الحتميات الذي يفرض هيمنة العامل الخارجي ويهمش العوامل الذاتية ويضع الذات خارج دائرة الفعل[15]، يقول **ارنستليندجرن:** "لا يمكن للسينمائي أن يعتمد على الوصف كما يفعل القصصي بل أنه يجب عليه أن يقدم عرضا لأحداث تقع فعلا، ولا يكتفي بوصف الشخصيات بل يجب أن يقدمها من خلال أعمالها وأدوارها التي المؤداة[16]

ظاهرة تفشي الفيروسات ليست بالجديدة على السينما ولا وليدة **كوفيد 19**، عديدة هي الأفلام التي دارت حول هذا الموضوع وقليلة هي الأفلام التي عرضت خطر الفيروسات والأوبئة بطريقة واقعية ومجردة من السريالية الشخصية، بل سلكت رؤية فلسفية تنبؤية مثل

فيلم **'عدوى'** و"**بعد 28 يوما**" عام 2002 **(28 Days Later)** ل **(داني بويل)** وفيلم **تفشي (Outbreak)** 1995 **ولفانغ بيترس** [17]

تظهر السينما كوسيط مثالي لتجسيد الخيال **الأبوكاليبسي*** والتجسيد المادي الدقيق للكوارث والذي يدفع نحو نوع من المعايشة لا يتحقق مع أي وسيط آخر، مع ميلها نحو تجسيد الكوارث على الشاشة، جعل منها الوسيط الأكثر أبوكاليبسية[18]، فهناك أفلام بالأرشيف السينمائي الأمريكي تناولت الواقع أو ما قد سيحدث بشكل مستقبلي فيما عرف بأفلام «**الرعب من المرض**»، لكنها كانت تصنف في البداية على أنها أفلام للخيال العلمي، وعندما وصلت إلى **31** فيلما، أصبح هذا التصنيف عاما، واحتاجت السينما لتصنيف آخر، فاستحدثت ما يسمى بـ **(أفلام الكوارث الطبية)**، وبعده تصنيف سينمائي جديد وأدق من الذي سبقه مثل: **(سينما الفيروسات)**، لذا يمكن التوقع بأن يصبح الفيروس الحالي «**كورونا**» فيلما في القريب العاجل، وإذا كان كورونا سيكون الفيلم المقبل في سينما الفيروسات فقد سبقته بسنوات أفلام أخرى عن فيروسات حقيقية حدثت بالفعل مثل فيلم «**I Am Legend**» بجزأيه وفيلم «**Quarantine**»، الذي تناول فيروس «**سارس**». وهنا لم تفوت شبكة فوكس التليفزيونية فرصة فحولت الوباء إلى مسلسل درامي.[19]

7. فكرة التناص ومظاهر اشتغاله في الخطاب السينمائي:

تم تشغيل مصطلحات التناص وتفعيلها عند الباحثة البلغارية "**جوليا كريستيفا**" منذ سنة **1966**.[20] ويعد التناص في نظر النقاد والسيميائيين "حركة نصية ومنهجا وعلاقات من الامتصاص والاجترار، تنشأ بين نص مركزي ونصوص أخرى مجاورة، وتنتج عنها عملية من التعالق بين النصوص تأثرا وتأثيرا"، وهو ما يمكن إسقاطه على فيلم "**عدوى**" المستمد من مواضيع سابقة (روايات، أفلام، وغيرها)، وتبقى المسألة الصعبة هي التحديد المسبق لما يندرج في إطار النص الفيلمي والتناص، وفي كل تشكيل ثقافي واضحا كان أم مضمرا،

فهناك تفاوض دائم بين النص وبين النص المتداخل لتحديد ما يندرج ضـــمن إطار التجلي المباشـــر للمعنى أو بين نص الفيلم وما تم توظيفه أو إدخاله من عناصـــر نصـــوص أخرى هنـاك طريقـة أعمق لتجـاوز النص الفيلمي تقوم على الانتقـال إلى نصـــوص أخرى تعبر بطريقتها عما يعبر عنه النص الأول، وتترجمه في مشـاريع دلالية جديدة، تتم فيها الانتقالات النوعية **(Passages Traductif)** عبر أشكال خطابية ضمنية جديدة [21]

إذن السينمـا تشهد إنتاجها الغزير المستمر نحو الأخذ من الفنـــــون الأخـــــرى باستحضـارها أو تحويلها أو أخذ جزء منها وبلورته في نصـوص فيلمية جديدة، مضـيفة عليها نزعة تجديدية مميزة ولمســـات تقنية، تســـهم في إعادة تغذية هذه النصـــوص، وفي المجال السـينمائي يعني الاقتباس **(تحويل)** فكرة أو موضـوع أو عمل أدبي أو مصـور رواية كان أم مسـرحية أو قصـــة إلى الشـكل السـينمائي[22] وقد أكد **(دومينيك دوكار)** أن التناص "**إنتقال لنظام دال إلى آخر**" وليس شرط أن يكون نقل لنص كامـــــــل إلى النص الجديد، فقد يأخذ أشكالا عديدة كالتعديل والتغيير والتحريف أو التشبيه والتضمين،[23]

8. فيلم عدوى Contagion مقاربة تحليلية سيميولوجية:

1.8 قراءة وصفية للفيلم حسب رولان بارث:

من أشـــهر الأفلام التي تناولت موضـــوع الكارثة التي تحل بالعالم الفيلم الأمريكي **(عدوى)** الذي أخرجه **(ستيفن سويدبرغ)** عام 2011، والذي أصبح يحتل المرتبة الأولى في نســـب المشـــاهدة في فترة وجيزة بعد أن اعتبر بمثابة النبوءة لوباء كورونا، ألف الســـيناريو **(سكوت.ز. بيرنز)** وأسندت بطولته إلى عدد من نجوم التمثيل مثل: **(مات ديمون- غووينيث بالترو- كيت وينسليت- لورانس فيسبورن- جود لو- ماريون كوتيار).**

يصور الفيلم مجموعة من الأشخاص الذين أصبح يتعين عليهم الاهتمام بأنفسهم دون مساعدة من أحد بعد أن ضرب الوباء العالم، أولهم **(بالترو)** التي أصيبت بالعدوى عندما كانت في رحلة عمل إلى "**هونغ كونغ**" وتدهورت حالتها الصحية بعد عودتها وماتت فيما بعد، ثم انتقلت العدوى إلى الزوج الذي يدخل فترة الحجر الصحي، أما **(كيت ونسليت)** فتمثل دور الطبيبة التي تموت فيما بعد هي الأخرى في حين يقوم **(جود لو)** بدور مدون على الانترنت وكمتاجر بالمرض على حساب الناس حين يزعم الإصابة بالمرض وامتلاك الدواء لتحقيق أرباح مادية خيالية.

أما اعتبار الفيلم لدى النقاد والمشاهدين بدرجة نبوءة ليس تناوله للموضوع فقط إنما لأنه يرجع أصل الفيروس إلى الصين، فهو يصور كيف قام طباخ بمصافحة **(بيث)** التي تؤدي دورها **(غوينيث بالترو)** وينقل إليها الفيروس بعد أن انتقل إليه من خلال عدوى حيوان داخل مزرعة[24] وقد تم الترويج للفيلم إعلاميا على أنه تنبأ بالفيروس قبل وقوعه، ويذكر كاتب السيناريو **سكوت** أنه استشار خبراء الأوبئة ومنظمة الصحة العالمية قبل كتابة السيناريو وأن التشابه بين الوقائع وجائحة كورونا المستجد محض صدفة لا أكثر[25]، وقد حمل هذا التصريح الكثير من الغموض بحكم فرضية الحرب البيولوجية التي رجحت افتعال الوباء كما روجت لها بعض وسائل الإعلام.

2.8 القراءة التضمينية لفيلم contagion (البنيات السردية من منظور "ميتز")

1.2.8تحليل البنية الأولى: فرضيات الوباء (من التكهن إلى التحقق)

سلم لقطات البنية الأولى: الفيلم يظهر المؤسسات والأفراد ووسائل النقل وتجمعات الأشخاص والساحات العامة كفضاءات للذعر والحيطة وكأنها محددة بأسلاك شائكة تؤشر على الفضاء الفيزيائي للفيروس، وتحدد مفهوم كيف نواصل الحياة ونحتوي الوباء سلميا.

يظهر **عنوان الفيلم** دلالات للخوف والهشاشة، فمن خلال **اللقطات الرئيسية السردية** إنما يتضمن مضمرات من الدلالات التي تقوي فرضية إيديولوجيا ضمن سياق السياسيات الإعلامية التي تنتهجها الصناعات السينمائية الغربية، والتي هي امتداد لكرونوطوب زماني بدأ منذ أحداث البنتاغون أو 11 سبتمبر 2001. حيث عملت هذه الحادثة العالمية التي ضربت الاقتصاد العالمي على تفعيل فكرة الرعب والخوف والفزع ومن هنا انطلقت السينما الغربية لتوجه الكثير من أيديولوجياتها لتحريك الرأي العام وإعادة قولبته بما يخدم أجندات محاربة الفزع أو الرعب الذي يحيط بالغرب.

فكرة فيلم "**عدوى**" تدل في مضمرها على وسيلة من وسائل الدفاع الذي تنتهجه الولايات المتحدة لتحصين حربها البيولوجية وبسط النفوذ وإحلال السيطرة الاقتصادية، كنوع من المرامي التي تحركها لوبيات الاقتصاد العالمي وهي فرضية لازالت قائمة وبقوة في نظر بعض النقاد، ويمكن الاستدلال من خلال الفيلم على أزمة الأنفلونزا الاسبانية لعام 1918

وهي عبارة عن سيناريو مماثل غذى بشكل كبيرة فكرة السيناريو سيما في جانبها المعرفي المتعلق بانتشار المرض وفقدان السيطرة عليه من قبل الحكومات بالإضافة إلى النتائج المخيفة التي رافقتها.

تبقى فرضية اصطناع الوباء من خلال مقاصد الفيلم محل شكوك وهذه من الدلالات التي ميزت قراءة فيلم عدوى وأبانت عن تضارب في الرؤى، والآراء التي عززها جمهور العلماء والأطباء والمختصين، وهو ما تعلق بحقيقة الوباء وأصله هل هو الخفاش فعلا أم أنها حالة طبيعية ناجمة عن خطأ بيولوجي تسرب في إحدى المختبرات، وتضمن الفيلم أيضا التوعية بشأن طرق انتقال العدوى وانتشار المرض في صورته السريعة وهي نفسها المظاهر التي لازمت بداية فيروس كورونا وتطوره وانتشاره أي أن سيناريو التأزم كان نفسه، ويمثل من جهة أخرى فيلم عدوى رؤية اقتصادية في عالم الربح المادي، الذي تشكل السينما إحدى ركائزه ضمن اقتصاديات وسائل الإعلام المنفتحة على عالم تدوير المال،

2.2.8البنية الثانية: كورونا من الصراع مع الوباء إلى التعايش معه

القراءة الدلالية لمسألة الحصانة المناعية أمر أقلق المتلقي الذي عاد بقوة إلى مشاهدة فيلم عدوى لإعادة فهم كوفيد 19، لكن ما يعد منافيا للمنطق هو التعافي من الوباء الذي يتضمنه الفيلم المتعارض مع استحالته في الواقع لدى المصابين بالمرض وهو ما أثبتته حالات لرياضيين وأشخاص يتمتعون بمناعات قوية كانوا قد لقوا حتفهم بسببه.

وقد تحدث الفيلم عن استراتيجية التعايش مع الوباء كمقاربة متقدمة بعد استنفاذ الكثير من طرق العلاج التي جربت، وهذا ما تجسد فعلا في البروتوكولات التي انتهجتها الكثير من الدول التي شهدت ارتفاعا كبيرا في عدد الإصابات بالمرض خاصة خلال صائفة 2020 أين قدرت إحصائياتها بالملايين مثل: **الهند، البرازيل، أمريكا، إيطاليا، إسبانيا،** أو كما عرف **بمناعة القطيع** التي تبين أنها من بين السبل الناجعة في احتواء المرض لعلاقتها

بوعي الأفراد الذين يفترض بهم أن يحددوا مصـــائرهم من خلال النموذج التحصـــيني المتبع المخيرين في إتباعه إن أرادوا النجاة.

تدريجيا وبعد مرور 10 أشـهر من انتشـار وباء كورونا يمكن التأكد أن المواطنين من خلال ما شـاهدوه على وسـائل الإعلام أو أفلام السـينما التي حاكت سـيناريو الأوبئة، تمكنوا من بنـاء نموذج معرفي متعلق بـالوبـاء، وهو نتيجـة تراكمـات تحصـــيل معرفي **منـذ فيفري 2019**، سـمح للأفراد بأن يدخلوا بشـكل واعي مرحلة التعايش الحقيقي مع الوباء، ودلاليا ما عادت الأرقام والإحصـائيات التي تقدمها وزارة الصـحة بالجزائر أو منظمة الصـحة العالمية تؤرقهم، لأن ما يستلزم ذلك هو تموقعهم خارج دائرة الخطر التي يحددونها هم.

3.2.8البنية الثالثة: الوباء واللقاح (انفراج الأزمة)

تضـمن الفيلم التطرق إلى مسـألة اللقاح كفكرة أسـاسـية ضـمن السـيناريو وقد وظف تقديرات لإنجاز اللقاح الذي جربته الطبيبة على نفسـها، كما حدد فترة توفره في الأسـواق بين 90 يوما وسـنة كحد أقصـى، وهذا ما رافق مراحل البحث واكتشـاف اللقاح لوباء كورونا، إذن شكلت مضمرات الفيلم تنبؤا حتى على صعيد إيجاد اللقاح والقضاء على الأزمة.

دلت مراحل إنتاج اللقاح في الفيلم عن إيديولوجيا ســـياقية خفية تم توجيهها للمتلقي تبرز الصـراع الدائم بين المعسـكرين الشـرقي (الصـين) والغربي (أمريكا) في تحقيق السـبق

لاكتشاف اللقاح كما حدث تاريخيا بحكم أن هذه الخطوة هي امتداد لصراع اقتصادي متعدد المجالات وهي نفس ما نتابعه اليوم في وسائل الإعلام من توترات بين البلدين سيما بعد تحميل الكثير من الدول الصين مسؤولية النازلة العالمية (كورنا).

يطرح الفيلم فكرة المؤامرة ويعزز توظيف نظرية الفوضى والهستيريا لدى المواطنين والدافع والتزاحم على محلات السوبر ماركت، ومشاهد المقابر والشوارع الخالية من الحركة، ويعالج الأزمة بكل أسبابها ومتغيراتها وتفاصيلها، وصولا إلى العقدة والحل المتمثل في المصل النهائي الذي ينتظره العالم، ويقدم المخرج البعد السلطوي لنظرية المؤامرة في مسألة اللقاح، التي أبانت على عنصرية مقيتة تعزز التعبير المجازي "**إذا كان الوباء يجمع البشر فإن اللقاح يفرقهم وإذا كان الفيروس عادل فإن المصل عنصري**"، وهي كلها دلالات ضمنية بلاغية تزيد من رمزية الفيلم وقيمة دلالاته المنفتحة على لا نهائية التأويل.

3.8 دلالات الفعل الاستشرافي لفيلم عدوى:

يمكن القول من خلال تحليل لقطات الفيلم أن الفترة التي دارت فيها أحداث الفيلم تتسم بالوجيزة والمختصرة، فكل أحداث الفيلم كانت بشكل متسارع، ولم يظهر المخرج هذه الفترة على أساس توقفها من عدمه لأنها متعلقة بشرح وباء للمتلقي، هذا التسارع هو سمة حتمية لطبيعة الوباء وخصائصه التي تستلزم السرعة في الانتشار والاستفحال.

يمكن الاستدلال سيميولوجيا على أبعاد الاستشراف عبر منظومة من العلامات والشفرات الرمزية التي تصنف في خانة ما يدل على الفعل التنبؤي في خطاب فيلم "**عدوى**" ويظهر ذلك جليا من خلال ارتفاع قوة المحاكاة التي تمتع بها الفيلم سيما في التفاصيل والجزئيات الصغيرة المتعلقة بطبيعة الوباء والتي استطاع المشاهد أن يستشفها في الواقع ويعيشها في سردية الفيلم وكأنها نوع من التبصر السينمائي وهو ما أوصل فيلم من هذا النوع أن يحتل الصدارة في أكثر الأفلام قربا من تجسيد سيناريو فيروس كورنا كأزمة وكتداعيات وكقلق اجتماعي وأمني واقتصادي وكهستيريا إعلامية.

يتضمن الفيلم تقديم رؤية شاملة عن مفهوم الوباء الذي يشل العالم انطلاقا من فضاء مكاني يتعلق بالصين، ويمكن أن نطرح دلاليا سؤالا مفاده لماذا الصين بالتحديد، ولماذا بعد 9 سنوات من إنتاج الفيلم يبدأ الفيروس من هناك، أية علاقة تجمع كورونا **بووهان** الصينية؟

يعد الاستشراف أو التنبؤ أجندة خفية ضمنية ضمن أجندات السينما، وهو ما نقرأه جيدا في فيلم عدوى، الذي أكد أن فيروس كورنا هو نتيجة حتمية وإثبات لفرضية علمية عززتها السينما وأكدها الطب ونفذها مخرج، هذه النزعة القرائية للغد أو المستقبل ليست حكرا على الأرقام والإحصائيات فقط، بل يمكن ترجمتها بلغة الخيال السينمائي الذي جوهره فكرة وضعت في وعائها المعرفي.

4.8 المرجعيات التناصية في فيلم عدوى حسب رومان جاكوبسون:

- يعد فيلم عدوى في علاقة تناصية مع فيلم **(أوتبريك 1995)** والذي يصور كفاح الأطباء من أجل الوصول لى إيجاد علاج لفيروس قاتل بدأ انتشاره في مدينة كاليفورنيا بسبب قرد إفريقي أسفر عن مقتل العشرات، حتى تمكن طبيب من اكتشاف اللقاح الذي أنهى معاناة المرضى وهو فيلم من إخراج **ولفغانغ بيترسن**.
- كذلك تحيل الدلالة السيميولوجية على استحضار سياق فيلم **أنفلونزا 1918**، الذي يصور ظهور الجائحة في الولايات المتحدة، ويمكن التدليل على وجود قواسم مشتركة مع فيلم عدوى ذات دلالات استشرافية تناصية مثل طبيعة انتقال الفيروس الذي صور بطريقة ملحمية عبر جنود ذاهبين إلى أوروبا للمشاركة في الحرب، حيث يشكل هذا الفيلم نصا تشابهيا مع فيلم عدوى ضمن اشتغال تناص الأفلام أو **الميتا – فيلم**.

- تحيل مشاهدة فيلم عدوى على فيلم أخرى بعنوان **(معبر كاسندرا) 1977** ورغم أنه سابق عليه بسنوات كثيرة إلا أنه يعالج فكرة جوهرية واحدة هي الوباء والفيروسات، كقاسم مشترك، هناك علاقة تناصية بين هذه النصين الفيلمين.
- لا يعد التناص الفيلمي لعلاقات فيلم عدوى بأفلام أخرى خاصا فقط بالأفلام التي سبقته زمنيا بل أيضا مع كل نص خارجي حتى بعد 2011 ومثال ذلك فيلم 93(دايز) أنتج عام 2016 بعد فيلم عدوى يتناول قصة تفشي فيروس **إيبولا** عام 2014 بنيجيريا، وتدل القراءة السيميولوجية لأبعاد التناص في كون هذا الفيلم اعتمد بشكل كبير على فيلم عدوى وتجمعها علاقة تناصية فعند تلقيه نجد أن هناك تلميحات وتضمينات سبق وأن شاهدناها في فيلم عدوى مثل كيفية السيطرة على الوباء، وطرق اكتشاف اللقاح، ضمن تناص معرفي قوي وقصدي.
- باعتبار عدوى فيلما مركزيا محل الدراسة فيمكن ربطه بفيلم آخر من بطولة **(ويل سميث)** بعنوان: **(أنا أسطورة) I Am Legend** والذي يعد من أقوى أفلام الوباء والفيروسات، أنتج عام 2007، وشكل نصا سابقا لفيلم عدوى تضمن علاقة تداخل تناصية معه، كذلك التناص بين فيلم (عدوى)2011 وفيلم **الحجر الصحي (Quarantine)** 2008 الذي دوره اقتبس من فيلم رعب إسباني صدر سنة 2007.
- كذلك يمكن تقديم مجموعة من الأعمال الفنية التي تجمعها علاقات تناصية مع فيلم عدوى انطلاقا من الاشتراك في التناص الأساسي (الفكرة) مثل: (فيلم **كاين فيفر**2016، مسلسل **كونتاينمنت** 2016، **كاريرز** 2009، **بنديميك** 2020 سلسلة أفلام وثائقية تلفزيونية، فيلم **كارغو** 2017، و**أخر رجل على الأرض** 1964، وغيرها من الأفلام التنبؤية.
- تشكل البناء النصي لفيلم عدوى، من مجموع التقارير الطبية الخاصة بمنظمة الصحة العالمية، وخبرات علماء والبيولوجيا والمختبرات، ومن بناءات درامية سابقة زمنيا، لأفلام

وروايات أخرى تناولت أو عالجت أزمات وكوارث طبية مثل الإيبولا، الملاريا، المجاعة، التيفوئيد، سارس، الزومبي وغيرها.

9. خاتمة:

نجحت الذاكرة السينمائية في استدعاء العديد من الأعمال التي جعلت من الأوبئة والفيروسات موضوعا لها، وبرز فيلم عدوى الذي تنبأ بفيروس كورونا وما صاحبه من أحداث وتداعيات اقتصادية وسياسية وصحية، كأبرز الأفلام وأكثرها محاكاة للجائحة التي يعيشها العالم اليوم، والذي تتدرج قيمته في كونه يوفر رؤية شاملة للمتلقي تجاه الجائحة من جوانب متعددة، كما يربطه بأفلام وأعمال أخرى سلطت الضوء على الموضوع ضمن حلقة من الخطابات التي تتناص وتتشابك ضمنيا في علاقات تجاورية فيلمية كان قاسمها المشترك تناول النوازل الوبائية بوجهة نظر سينمائية وفرت أبعادا مختلفة لمظاهر استشرافية وبائية، تم التكهن بها قبل سنوات وعقود من الزمن، وهذا ما جعل فيلم عدوى نموذجا لقدرة السينما على التنبؤ المعرفي القائم على العلم والمعرفة.

10. نتائج الدراسة:

- تكاد تكون أفلام الاستشراف منعدمة في الإنتاج السينمائي العربي عكس الغربي الذي سجل سبقا كبيرا في سينما هوليوود التي تخصصت فيما يعرف بسينما الأوبئة والأمراض والفيروسات وسينما العلوم.
- شكل فيلم عدوى محتوى معرفيا عزز بشكل كبير الثقافة الطبية لدى المشاهد والذي ساعد على تبسيط فهم أزمة جائحة كورونا وأبعادها وماهيتها.
- قدم سيناريو فيلم **contagion** إحالات تضمينية واقتباسات من نصوص أخرى (أفلام، روايات، أفلام وثائقية، تقارير، أشرطة وثائقية..) وغيرها سبقته أو جاءت بعده في موضوع

الأوبئة وهذا ما يجسد تناصية الفيلم المسكون بأعمال ومنتجات أخرى ترتبط به وتتشارك معه في نقاط تقاطع وهي ظاهرة التعالق النصي أو البين نصية **(التعالي الفيلمي)**.

- تتمثل أهمية فيلم عدوى في قدرته التنبؤية الكبيرة، حيث قدم أدق التفاصـــيل لما يحدث الآن في أزمة فيروس كورونا وهي رؤية لكارثة مســـتقبلية وقعت بالفعل وأكدت البعد التنبؤي للسيناريو المنفتح على فرضيات المؤامرة والصدفة.
- كما دل التحليل السـيميولوجي على سـيميائية المكان أين نشـأ الفيروس أول مرة (الصـين) وهي أقوى مؤشـرات الاسـتشـراف في الفيلم الذي تنبأ بجغرافية الوباء التي تحققت زمن جائحة كورونا، ويمكن إجمالا الخروج بأبرز **التوصيات** حول الموضوع كالآتي:

* تخصـيص دراسـات تتناول التحليل اللسـاني الدلالي لسـيناريو فيلم عدوى والاهتمام بالكفاءة التواصلية للاستشراف الوبائي سينمائيا.

* التأكيد على أهمية الاتجاه المعرفي لسينما العلوم والمعرفة وأنماط تلقيها.

* تخصيص حظوة أكاديمية للاستشراف والدراسات التنبؤية

* التعمق في معالجة فيلم عدوى وربطه بزوايا بحث مختلفة (إيديولوجية، اقتصـادية، سياسية)

11. قائمة المراجع:

[1]– أحمد مختار عمر وآخرون، **معجم اللغة العربية المعاصر**، القاهرة، دار عالم الكتب، 2008، ص1190.

[2]– حسـين بوقارة، **الاسـتشـراف في العلاقات الدولية** (مقاربة منهجية)، مجلة العلوم الإنسـانية، الجزائر، عدد: 21، جوان 2004، ص 187.

[3]– هشام عبادة، سيميائية التوتر وعلاقتها بتفاعلات الأهواء في السينما المغاربية (دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من الأفلام المغاربية، أطروحة دكتوراه، تخصص علوم الإعلام والاتصال، إشراف: فايزة يخلف، قسم الاتصال، جامعة الجزائر 3، جويلية 2019، ص 28.

[4]– سعد الله محمد سالم، مملكة النص، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2008، ص124.

[5]– محمد أديوان، مشكلة التناص في النقد الأدبي المعاصر، مجلة أقلام، عدد: 4، 1995، ص46.

[6]– بباس منيرة وفالي نبيلة، الاقتصـــاد العالمي في مواجهة تحديات عولمة الأوبئة–جائحة كوفيد 19 نموذجا– مجلة العلوم الاقتصـــادية وعلوم التســـيير، جامعة فرحات عباس ســـطيف (الجزائر)، مجلد: 20، عدد: خاص حول الآثار الاقتصادية لجائحة كورونا، سبتمبر 2020، ص75.

[7]– نعيم بوعموشـــة، فيروس كورونا (كوفيد 19) في الجزائر –دراســـة تحليلية– مجلة التمكين الاجتماعي، الأغواط (الجزائر)، مجلد: 02، عدد: 02، جوان 2020، ص 125.

[8]– فايزة يخلف، سيميائيات الخطاب والصورة، بيروت، دار النهضة العربية، 2012. ص71

[9]– هشام عبادة، مرجع سابق، ص 169.

[10]– صالح علي مسعود قحلوص، الدلالة الوظيفية والآلية الفلسفية للسرد في الفيلم السينمائي، مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد: 13، ديسمبر 2017. ص129.

[11] - Bordwell.D, Narration in the fiction film, Université of Wisconsin Press, Madison 06, 1985. P 210.

[12]– موقع BBC News عربي، 05–04–2020، فيروس كورونا: طاعون وزومبي ومصاصو دماء، كيف تناولت هوليوود الأوبئة؟، تاريخ الاطلاع: 2020–11/21، الساعة 00:15،

https://www.bbc.com/arabic/art–and–culture–52172768

[13]– شـادي عبد الحافظ، فيلم .Contagion. هل تنبأت السـينما بسـيناريو كورونا الأسـوأ؟ 24 أفريل 2020، تاريخ الاطلاع: 2020/11/22، https://www.aljazeera.net/midan/art/cinema،

[14]– موقع BBC NEWS، فيروس كورونا: كيف تنبأ فيلم كونتيجن بتفشـــي الفيروس قبل 10 ســـنوات؟11 مارس 2020، تاريخ الاطلاع: 23–11–2020 https://www.bbc.com/arabic/science–and–tech–51804778

[15]– فؤاد بلمودن، جائحة كورونا المستجد وهواجس الاستشراف، مجلة منار الهدى (المغرب، جامعة شعيب الدكالي) عدد: 19، ربيع 2020، ص 29.

[16]– لوي دي جانيتي، فهم السينما، تر: جعفر علي، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1982، ص 379.

[17]–شفيق طبارة، السينما استشرفت الكارثة قبل حدوثها "عدوى" مجنونة ستلتهم الكوكب، 21 مارس 2020، تاريخ الاطلاع: 22 نوفمبر 2020، https://al–akhbar.com/Literature_Arts/285998،

[18]– أحمد عزت، أفلام نهاية العالم.. كيف استطاع الفن التنبؤ بالأحداث الكارثية؟، 2020/06/16، تاريخ الاطلاع: 2020/11/22، https://www.aljazeera.net/midan/art/cinema،

[19]– إيمان عبد الكريم، هل يصـــبح كورونا فيلما قريبا؟ (ســـينما الفيروســـات، مؤامرة ســـياســـية أم اســـتشـــراف)؟ 2020/06/02، الاطلاع: 2020/11/24، https://www.maspero.eg/wps/portal/home/radio–and–tv

-magazine/investigations/details/d6d9a013-07b6-4d05-adfc-2ff0f107c578

[20]– محمد وهابي، مفهوم التناص عند جوليا كريســتيفا، مجلة علامات، (جدة)، النادي الثقافي والأدبي، الجزء: 54، مجلد: 14، ديسمبر 2004. ص380.

[21]– جيان فرانكو ماروني، اختراع النص، تر: قاسم المقداد، مجلة الآداب العالمية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع: 143، 2010، ص 34.

[22]– بغداد أحمد بلية، الترجمة بين سيمائية الرواية/الفيلم، وهران، الجزائر، دار الغرب، بدون سنة، ص21.

[23]-Jean Michel Adam**.** Intertextualité et inter discoure (filiation et contextualisation de concepts hétérogène). En science des textes et analyse comparée dans des discoures. Univ de Lausanne. suisse.2006.pg 13.

[24]–أمير العمري، كيف تنبأ فيلم العدوى بوباء كورونا، الســـبت 2020/04/04، تاريخ الاطلاع: 2020/11/20، الساعة 23:00 https://middle-east-online.comميدل إست أونلاين.

[25]– فؤاد بلمودن، جائحة كورونا المستجد وهواجس الاستشراف، المرجع السابق، ص12.